المخطوط العربي تاريخه تطوره ومقومات صناعته

أ.دربيخ نبيل
جامعة سكيكدة

مقدمة:

إن تاريخ الأمة العربية وتراثها حافل بالإنجازات والأعمال التي أتت بالخير للإنسانية جمعاء، وأعظم ما خلفته الأجيال الماضية المؤلفات التي وضع فيها العلماء أفكارهم وعلومهم وتجاربهم وابداعاتهم والتي ما زالت مرجعا للكثير من العلماء والباحثين في مختلف التخصصات والعلوم، وتتمثل هذه المراجع في المخطوطات العربية المتواجدة في مختلف مكتبات العالم بشرقه وغربه وشماله وجنوبه، حيث لا نكاد نجد مكتبة لا تحتوي على مخطوطات عربية قديمة.

نظرا إلى اهمية الرصيد المعرفي العربي المخطوط ظهرت العديد من الدراسات والبحوث والتخصصات التي تهدف إلى دراسة المخطوطات العربية والتعريف بها وفهرستها وتحقيقها وصيانتها وترجمتها، خاصة تلك الدراسات التي قام بها مستشرقون مهتمون بالتراث العربي والإسلامي، وإظهار مدى تأثيره على تطور العلوم ومساهمة العرب في نشر العلم والمعرفة، ويمكن أن نقول انه لا يوجد تراث عالمي حضي بالاهتمام بالبحث والدراسة فيه كالتراث العربي المخطوط.

من هذا المنطلق جاء اهتمامنا بموضوع المخطوطات العربية ونشأتها وتاريخها وتطورها، محاولة منا ان نساهم في إحياء التراث العربي المخطوط وبعثه من جديد خاصة وأن هذا المجال من الدراسة والتخصص لا يلقى رواجا في واقعنا المعاصر نظرا لتأثر هذا الجيل بالتكنولوجيا والابتعاد عن كل ما هو تقليدي ورقي، في حين أن الغرب اعطى العناية بهذا الجانب وأنشأ في ذلك معاهد وجامعات تهتم بدراسة المخطوطات وتحقيقها وكيفية صيانتها ودراسة الحضارات القديمة خاصة الحضارة العربية الاسلامية نظرا لمعرفتهم الكبيرة بقيمتها وفضلها الكبير على تطور المجتمعات الغربية، وعلى المستوى العربي لا يمكن ان نغفل دور المعهد العربي للمخطوطات الذي يعنى بالتراث العربي بمختلف أصعدته ؛ جمعا إتاحة صيانة ترميما وفهرسة وتعريفا، دراسة وتوظيفا،[1] أو مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي الذي يقوم بمهام ترميم وحفظ المخطوطات كما يقوم بتكوين متخصصين في هذا المجال، هذا بالإضافة إلى مختلف المعاهد والأقسام المتواجدة على المستوى العربي مساهمة منها في المحافظة على التراث العربي المخطوط ونقله إلى الأجيال اللاحقة.

---

[1] الموقع الرسمي لمعهد المخطوطات العربية،
http://www.makhtutat.net/index.php?option=com_content&view=article&id=125&Itemid=97

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

نحاول من خلال دراستنا التطرق إلى نشأة المخطوط ومراحل تطوره بداية بظهور وسائل الكتابة التقليدية من جلود ورقوق وبردي، مرورا بظهور صناعة الورق ومساهمته في انتشار المخطوط والخط العربي، وصولا إلى عصر الطباعة، كما نتطرق إلى اهم مواصفات المخطوطات العربية ومكوناتها المادية، ومواضيعها المختلفة كما نتطرق إلى فهرسة وتصنيف المخطوطات وطرق المحافظة عليها عن طريق الصيانة والترميم، وحمايتها من التزوير عن طريق التحقيق.

تعريف المخطوط:

لم تكن كلمة مخطوطة المستخدمة حاليا معروفة منذ القديم اطلاقا بمعناها اللغوي أو الاصطلاحي، إذ اطلقت اصطلاحات وأسماء أخرى عرفت بها المخطوطة حيث استخدمت بدلا منها (كتاب، سفر، مجلد، رسالة، جزء) وغير ذلك من المصطلحات، والغريب أن المعاجم العربية القديمة مثل لسان العرب وتاج العروس لم تورد هذه الكلمة ضمن مواردها و لم تتعرض لها بالشرح الوافي، وجاء في كتاب محيط المحيط ان المخطوط مأخوذ من خط بالقلم وغيره، خط يخط خطا" أو كتب او صور اللفظ بحروف هجائية [1] كما جاء في في كتاب أساس البلاغة للزمخشري استخدام هذه الكلمة في قوله: " خططت، خط الكتاب يخطه (ولا تخطه بيمينك)، وكتاب مخطوط فهو لا يعني بها المصطلح الذي نطلقه على الكتاب المكتوب بخط اليد، بل يعني أنه مكتوب أي منسوخ.

وقد ظهرت كلمة مخطوط في العصر الحديث لتقابل كلمة مطبوع بعد دخول الطباعة في حركة التدوين والتأليف والنشر وأصبحت تطلق على نسخة الكتاب التي خطها المؤلف او غيره بالمخطوط أو المطبوعة التي طبعتها آلات الطباعة، ومن هذا المنطلق أشار ابراهيم مصطفى في معجمه الوسيط إلى تعريف آخر ضمن هذا المعنى إذ يقول: " أنه المكتوب بالخط لا بالمطبعة، وجمعه مخطوطات، والمخطوطة النسخة المكتوبة بخط اليد "، ثم توالت التعريفات اللغوية والاصطلاحية عليها وكان اجماع بين القواميس المتخصصة في المكتبات على ان المخطوط هو " الكتاب المكتوب بخط اليد لتميزه من الخطاب أو الورقة أو أي وثيقة أخرى خاصة تلك التي كتبت قبل عصر الطباعة [2] وبعضهم صاغ تعريفا جامعا لكل التعريفات السابقة إذ يقول: " المخطوط من اوعية الفكر المكتوبة بخط اليد كتبها مؤلف او ناسخ ويتضمن فكر مؤلف في موضوع معين من موضوعات العلوم، كتبت على ورق أو رق أو طين، والمقصود بالمخطوط العربي هو نسبة إلى اللغة التي كتب بها وليس إلى البلاد العربية، وهو المخطوط الذي كتب بلغة عربية قبل عصر الطباعة في شكل لفائف أو صحف ضمت إلى بعضها البعض على هيئة دفاتر أو كراريس، ويشمل هذا المفهوم على أربعة تعاريف أساسية:

---

[1] بطرس البستاني، **محيط المحيط**، بيروت، مكتبة لبنان، 1970، ج 10، ص 563.

[2] أحمد محمد الشامي وسيد حسب الله، **المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات**، انجليزي – عربي، الرياض، دار المريخ، 1988، ص7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

- أن يكون المخطوط كتابا، أي أن الرسائل والوثائق والعهود والنقوش والمواثيق والمدونات الموسيقية خارجة عن إطار هذا التعريف.
- أن يكون الكتاب مخطوطا، أي ان النسخ المرقونة على الآلة الكاتبة وكذلك النسخ المصورة على المصغرات الفلمية هي خارج حدود هذا التعريف، (لكن يرى البعض ان هذا النوع داخل ضمن المخطوطات) خارجة عن نطاق هذا التعريف.
- أن يكون كتب قبل عصر الطباعة مع اختلاف انتشار الطباعة من قطر عربي إلى آخر ومن عصر إلى آخر، أي ان النسخ المخطوطة بعد انتشار الطباعة واستقرارها هي خارجة عن حدود هذا التعريف ويمكن ان نطلق عليها بالمخطوطات الحديثة لتميزها عن المخطوطات العربية القديمة.
- أن يكون المخطوط بخط عربي بصرف النظر عن مكان النسخ عربيا كان ام غير ذلك.[1]

تطور المخطوط:

لقد مر المخطوط بمراحل مختلفة حسب ظروف وطبيعة حياة الإنسان في القدم فاختلفت ادوات الكتابة وخطوطها وتنوعت بين جلود وطين وبردي وأوراق، كان المخطوط عبارة عن ألواح للطين كتبت عليها بواسطة مسامير نسبة إلى الكتابة المسمارية، كما ظهر المخطوط المكتوب على جلود الحيوانات بحبر تقليدي الصنع، كما ظهر المخطوط المكتوب على سعاف النخيل وأوراق البردي، وارتبط المخطوط بمجموعة من المميزات التي تجعله يختلف عن بعضه حتى جاء ظهور الورق وصناعته مما أعطى للمخطوط شكل واحد ومميزات أحسن.

ويمكن ان نلخص تطور المخطوط من خلال المراحل التالية:

المرحلة قبل الورقية:

قبل ان يعرف العرب صناعة الورق (في منتصف القرن الثاني الهجري) استخدموا مواد كثير للكتابة فكتبوا في العصر الجاهلي على العسب والكرانيف والعظام، واللخاف، والمهارق وهي جميعها مواد مشتقة من بيئة صحراوية.[2] وكانت هذه المواد متوفرة وسهلة الحصول عليها، وكذا العظام والنخاف فهي الحجارة البيض، كما استخدم العرب الجلود ومنها ثلاثة انواع الرق وهو ما يرقق من الجلود، والأدم وهو الجلد المدبوغ الأحمر، والقضيم وهو الجلد الأبيض، والمهارق وهي جمع مهرق وهو ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويسقل ثم يكتب فيه وهو فارسي الصنع، كان يجلب من خلال قوافل التجارة، كما تعتبر هذه الوسائل هي نفسها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلافائه الراشدين لكتابة القرآن والاحاديث الشريفة، وفي عهد عمر بن الخطاب استخدم العرب مادتين جديدتين هما القباطي والبردي، والقباطي هو نوع من النسيج المصري

---

[1] السيد السيد النشار، **في المخطوطات العربية**، الاسكندرية، دار الثقافة العلمية، 1997، ص 6.

[2] العسب جمع عسيب وهي السعفة او جريدة النخل، والكرانيف هي أصل السعفة والغليظ الملتصق بجذع النخل.

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

كان يتخذ من الكتان أو وكانت هذه المادة التي عرفها العرب بعد فتح مصر أسهل في الكتابة من كل المواد السابقة، اما ورق البردي المصري فقد كانت المادة الجديدة التي فرضت نفسها على الكتابة العربية وانتقلت بها إلى مرحلة جديدة وخطت بها خطوات واسعة نحو الانتشار والشيوع وكانت اكثر المواد المستعملة لدى الامويين.

مرحلة صناعة الورق:

عرف العرب الورق في العصر العباسي، بعد أن كان قد ظهر في الصين، وأول ما ظهر كان سنة 751 م في زمن الرشيد، وذلك عندما فتحت سمرقند وكانت جيوش الصين قد حاولت طرد العرب منها ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ووقع في الأسر حوالي عشرون ألفا منهم وكثيرون منهم كانوا يجيدون صناعة الورق، فتعلمها منهم العرب وأسسوا مصنعا للورق في سمرقند بمعاونة هؤلاء الأسرى، ومن هناك كان التجار ينقلونه إلى بغداد ومن ثم إلى المدن الاسلامية وراج ورق سمرقند وانتشر انتشارا عظيما، واستعمل العرب الورق في الكتابة بدل الجلود لأنها تقبل المحو والإعادة والتزوير بخلاف الورق فإنه متى محي منه فسد، وانتقل الورق إلى الشام ثم فلسطين منذ منتصف القرن الرابع ومنها انتقلت تلك الصناعة إلى مصر والمغرب العربي والأندلس.

لم يكن الورق المستخدم في صناعة المخطوطات العربية نوعا واحدا، وإنما تعددت انواعه فهناك الورق السليماني نسبة إلى سليمان بن راشد، والورق الجعفري المنسوب إلى جعفر البهكي، والطلحي المنسوب إلى طلحة ابن طاهر وهكذا تعددت أنواع الورق وتسميتها نسبة إلى صناعها.ويبدو أن ظهور الورق في البيئة العربية واستعماله في الكتابة لم يؤدي إلى اختفاء الرقوق، إلا أنها لم تكن تستخدم بكثرة وكانت في طريقها إلى الاختفاء وذلك لما تميز به الورق من عنها وفي هذا المجال قال الجاحظ على الرقوق أنها: " جافية الحجم، ثقيلة الوزن، إن أصابها الماء بطلت وإن كان يوم لثق (كثير الندى) استرخت، وإن نديت استرسلت فامتدت، ومتى جفت لم تعد لحالها إلا مع تقبض شديد وتشنج قبيح، وهي انتن ريحا وأكثر عقدا وعجزا، أي كثيرة العروق المنعقدة، وأكثر خياطا وإسقاطا والصفرة إليها أسرع وسرعة انسحاق الخط فيها أعم، ولو أراد صاحب علم أن يحمل منها قدر ما يكفيه في سفره لما كفاه حمل بعير " وهذه العيوب التي عددها الجاحظ للرقوق لم تكن في الورق وكان.[1]

أداة الكتابة: كان العرب يكتبون مخطوطاتهم بأدوات مختلفة فقد تطورت هي الأخرى بتطور العصور وتغير الظروف التي مرت بها المجتمعات العربية، كانوا يستعملون قبل الاسلام آلات حادة ينقشون بها كلماتهم في الحجارة كما كانوا يكتبون بمادة طباشيرية أو فحمية او رصاصية، أما القلم وقد يسمى المزبر أو اليراع فقد كتب به العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، وكانت الأقلام في بادئ الامر تصنع من السعف او القصب إذ كان يقص ويبرى أو يقلم – لذلك سمي بالقلم- ويعد القلم أشرف آلات الكتابة وأعلاها مترلة.

---

[1] البسيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 11.

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

من اجل الكتابة لابد من توفر القلم وكذلك الحبر أو المداد الذي يكتب به وقد سمي مدادا لأنه ما تمد به الدواة للكتاب، وسمي أيضا حبر نسبة إلى الحبار وهو أثر الشيء كأنه أثر الكتابة، وكان العرب يجلبون الاحبار من الصين، كما كانوا يصنعونه في بلادهم من مواد كثيرة بعضها نباتي وبعضها معدني، وبعضها الآخر من اصول حيوانية كعسل النحل والزاج والصمغ والدخان والكافور..وغيرها وكانت تستعمل هذه المواد بمقادير مختلفة، وقد ميز العرب بين المداد الذي يناسب الكتابة على الرقوق، والذي يناسب الكتابة على الورق ولكل طريقته في التصنيع.[1]

مكونات المخطوط العربي:

يتكون المخطوط من أركان أساسية كما حددها القدماء وتتمثل في المكونات المادية من مداد (حبر)، وخط، وتجليد، هذا الذي يمكن من تحديد الزمن والعصر الذي كتبت فيه او المنطقة الجغرافية المنتمي اليها.

المضمون: أو ما يسمى بمنهجية المخطوط التي كانت سائدة منذ البدايات الاولى للتأليف مثل:

1. ورقة العنوان: حيث لم يكن في القديم يخصصون صفحة خاصة بالعنوان، ولعل بعضهم يترك الصفحة الأولى فارغة وذلك خوفا من عبث الأيادي والتلوث من كثرة استخدامها او لتجليدها وزخرفتها، او لذكر بعض الإضافات والقراءات والوفيات والولادات أو بعض الفوائد المنقولة عن كتب أخرى.[2]

2. المقدمة: يتكون مضمون المخطوط من مقدمة إذ لا يخلو أي مخطوط من مقدمة حيث أن المخطوطات العربية يكون بدئها بالبسملة والحمد والدعاء والصلاة على النبي (ص) ثم يسترسل في موضوعه وتتكون المقدمة من امور عديدة تكشف عن خفايا وأسرار المخطوط وهي عنوان المخطوط وكثيرا ما نجد المؤلف او الناسخ يضع في مقدمته بعنوان المخطوط، ومن خلال هذا العنوان اكتشف علماء البيليوغرافيا كثيرا من المخطوطات، كما نجد في المقدمة اسم المؤلف او الناسخ إذ يشير إلى اسم المؤلف إذا لم يذكر المؤلف فيها ليخرجها من مجال التشابه مع كثير من المخطوطات المتشابهة في الاسم، كما تتضمن المقدمة أيضا على موضوع الكتاب حيث يذكر المؤلف الموضوع الذي سوف يبحثه او يتضمنه المخطوط، كما يتكلم فيها عن المنهج المتبع والذي يعتمده في مخطوطته وتقسيمه إلى أبواب وفصول وما الذي سيتناوله في كل باب، ويتناول المؤلف في مقدمته الهدف من تأليف هذا الكتاب والقصد من ورائه والحقيقة التي جعلته يهتم بهذا الموضوع والاهتمام به، ويمكن معرفة بداية المخطوط من خلال القراءة حيث نستطيع ان نميز ما اضافه الناسخ في بدايته عما كتبه المصنف، ونتأكد من عنوانه واسم مؤلفه إن كان مسجلين في صفحة العنوان او

---

[1] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 14.

[2] حسين جهاد الحسان، المرجع السابق، ص 121.

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

من خلال مقابلة مع نسخة أخرى، وتتضمن المقدمة عنوان آخر للمؤلف حيث يمكن أن يذكر المؤلف والتي من خلالها نستطيع معرفة هذا المؤلف او التمييز بينه وبين شخصيات أخرى تتشابه معه في الاسم كما يمكن ان تتضمن أسماء أساتذته وتلامذته وطلبته حيث يذكر المؤلف في مقدمته أسماء أساتذته عن طريق إجازاته وسماعه لهم فضلا عن ذكر تلامذته على أساس انهم طلبوا منه أن يصنف لهم في موضوع معين.

3. الخاتمة: تعد خاتمة المخطوط ذات اهمية بالغة حيث لا تقل في فائدتها عن بداية المخطوط ومقدمته وذلك للمعلومات المهمة التي تتضمنها هذه الخاتمة ويمكن ان نجد فيها الأمور التالية:

- عنوان المخطوط: من خلال الخاتمة نكتشف عنوان المخطوط، إذ لم يكن له عنوانا معينا في مقدمته او لم يكن له ورقة خاصة بعنوان المخطوط
- اسم المؤلف سواء ذكره المؤلف نفسه او الناسخ، إذ نجد في نهايته كمل كتاب....لمؤلفه...[1]
- نهاية المخطوط يرد في بعض المخطوطات عبارة تدل على الانتهاء من النص مثل عبارة تم الكتاب أو هذا آخر الكتاب، أو تم الجزء الأول، إلى غير ذلك من العبارات التي تشير إلى الانتهاء من المقصود.
- الناسخ وتاريخ النسخ والخاتمة، وتحدد لنا تاريخ نسخ المخطوط ومكان نسخه والشهر والسنة، وفي بعض الاحيان يحدد التاريخ بما مضى من الشهر او مات بقي منه، وفي بعض المخطوط نجد تحديد بداية الكتابة بالمخطوط ونهاية الكتابة فيه،
- مصادر المؤلف: ونجد في نهاية المخطوط ذكرا لمصادر المؤلف الذي اعتمد عليها في تأليف مخطوطه
- ما يصحح في تاريخ وفاة المؤلف، وفي الخاتمة أحيانا ما يصحح خطا وقع فيه المترجمون لمؤلف هذا المخطوط عن تاريخ وفاته، وذلك إذا ذكر المؤلف تاريخ تأليفه للمخطوط.
- حادثة تاريخية: قد يرد في نهاية المخطوط ذكر حادثة يؤرخ بها الناسخ او المؤلف هذه النسخة فيقول مثلا: عند خروج الجيوش المصرية من دمشق.

ولعل امورا أخرى يمكن ان تكون في خاتمة المخطوط منها مثلا عصر المؤلف، اسم المنسوخ له، عنوان كتاب آخر للمؤلف، سبب تسمية المخطوط، تاريخ التأليف وغيرها...[2]

---

[1] عزت ياسين أبو هيبة، **المخطوطات العربية فهارسها فهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص 45.

[2] حسين جهاد الحساني، **المخطوط العربي تاريخه صنعته تطوره**، مجلة ينابيع تصدر عن مؤسسة الحكمة للثقافة الاسلامية في النجف الأشرف، العدد 23، 2008، ص 122.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

الهوامش: ويطلق عليها أيضا " الحواشي" وهي المساحات الفارغة التي تترك حول المتن في صفحات المخطوط، وعادة ما تكون هذه المساحات متساوية في المخطوط الواحد وذلك لتساوي عدد الاسطر وتوازيها كما تكون متناسبة مع حجم صفحات المخطوط، كلما زاد حجم الصفحة زادت حجم الهامش والعكس صحيح.[1]

التسطير: اهتم كتاب المخطوطات بالشكل العام للمخطوطات إضافة إلى اهتمامهم بالترتيب العلمي له وتوثيق معلوماته، وذلك لإخراج المخطوط في صورة جميلة ومتكاملة في كافة الجوانب، ولهذا اهتموا بعملية التسطير وجعل الخط في شكل مستقيم، ولعل الطريقة الفنية التي كانت متبعة في التسطير في الضغط على أماكن السطور في الصفحة بمواد تترك أثرا ولا تؤثر على الورقة، ويزول أثرها عند الانتهاء من الكتابة بعد فترة وجيزة.

علامات الترقيم: من المتعارف عليه أن علامات الترقيم الحالية والمعروفة لدينا هي (النقطة، الفاصلة، والفاصلة المنقوطة، والأقواس الشارحة وغيرها..) وهي لم تستخدم فعليا إلا في وقت قريب جدا وهو في الغالب بداية القرن الرابع عشر الهجري، لكن علامات الترقيم التي كانت معروفة عند العرب في المخطوطات القديمة تتمثل في الدائرة (O) التي تفصل بين كلامين أو حديثين لتسهيل استخراج المقصود منه، ونجد بالإضافة إلى الدائرة، الفاصلة (،) والنقاط الثلاث (:.) هذه الأخيرة التي كانت تستعمل في أول بيت الشعر وفي آخره وأحيانا في وسطه، إضافة إلى علامات أخرى كالدائرة المنقوطة والتي على شكل حرف هاء بالإضافة إلى استعمال النقطة.ومن المتعارف عليه في المخطوطات أنها كانت تستعل اكثر الدوائر العادية والدوائر المنقوطة لتحل محل العلامات المعروفة حاليا.[2]

الاختصارات: بالإضافة إلى الاختصارات والرموز التي كان يضعها النساخ عند تصويب الأخطاء التي تنتج بسبب سهو أو تكرار، اعتاد المولفون والنساخ على اختصار صيغ الاخبار والتحديث لتكرارها في كتب الحديث والتاريخ على وجه الخصوص، وجرت العادة لدى المحدثين باختصار ألفاظ في كتبهم حسب ما هو متعارف عليه لديهم مثال: كلمة حدثنا تختصر بـــ (ثنا)، أو اختصار كلمة البخاري بـــ (خ) ومسلم بـــ (م)، ويشترط على هذه الاختصارات في إحدى الكتب او يشير إليها الناسخ في مقدمته كي يفهمها القارئ ومن الممكن أن تتشابه هذه الرموز في كتاب مع كتاب أخر ويكون المعنى المرجو منها مختلف لهذا فمن الواجب أن تذكر تلك الاختصارات ومعناها والمغزى منها في مقدمة المخطوط.

التصويبات والإضافات: إن كتابة المخطوط ليس بالأمر السهل خاصة لما يقع فيه الناسخ من اخطاء وجب مراجعتها وللحرص على إخراج المخطوط بدرجة عالية من الصحة والضبط فهو يراجع كتابه بعد

---

[1] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 29.

[2] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 33.

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

الانتهاء من نسخه لتصويب وتصحيح ما اخطا فيه أو إضافة ما نسيه، وقد اعتبر العلماء مراجعة النسخة شرطا من شروط النسخ، وحتى يحافظ النساخ على الشكل العام لمنظر الكتابة في المخطوط، فقد اخترعت عدة طرق لتصحيح الاخطاء منها (الكشط أو المحو أو الضرب)، وهناك عدة طرق لها كما هناك بعض الإضافات التي يمكن ان يكون قد نسيها النساخ.

الزخرفة الجمالية والتذهيب:

عرفت المخطوطات العربية بعض الزينة والزخرفة خاصة تلك الأشكال الهندسية والنباتية والكتابية التي تضاف بعد الانتهاء من النسخ لتضفي عليه ناحية جمالية ليس لها علاقة بموضوع المخطوط، وبما ان الاسلام لا يشجع على تصوير الأشياء الحية اتجه الفنانون إلى إفراغ مواهبهم الفنية وإنشاء عناصر زخرفية، وأوجدت مبادئ جديدة ألمرت نوعا من الزخارف، وهذا ما تجسد في المصاحف المزخرفة التي وصلت إلينا، حيث تتضمن الأشكال الهندسية والنباتية التي اصبحت فنون زخرفية خاصة بالعرب والمسلمين أطلق عليها الأوروبيون اسم " الأرابيسك"، وقد امتدت الزخارف إلى كتب أخرى وخاصة كتب السيرة وعلوم الدين وأخذت أوائل ابوابها وفصولها ونهاياتها تحلى بمثل هذه الزخارف، وهذه الانواع من الزخارف لم تنتشر انتشارا كبيرا إلا في القرون الخامس والسادس والسابع هجري، وكان العصر المملوكي من العصور الذهبية التي كثرت فيها هذه الفنون الزخرفية والخطية.[1]

وقد ادرك العرب والمسلمون ان الخط العربي يتصف بالخصائص التي تجعله عنصرا زخرفيا يحقق الأهداف الفنية، وكثيرا ما استعمل الخط استعمالا زخرفيا بحثا دون الاهتمام بالمضمون المكتوب وكان الخط الكوفي (لأن خطوطه العمودية والأفقية عنصرا يمكن استغلاله من الناحية الزخرفية

أما التذهيب هو استعمال مادة الذهب في كتابة وتزيين أوائل المخطوطات وأواخرها او جلودها او اجزاء منها أو جميعها، ومن الممكن ان يكون الذهب المستعمل في النقوش أو زخارف الجلود على شكل ورق الذهب أو صفائحه، وفن التذهيب من فنون الكتاب التي ازدهرت ازدهارا كبيرا على مر عصور المخطوطات، والمصاحف كانت اول الكتب التي نالت عناية كبيرة في هذا الفن ومن ثم اخذت بعض كتب علوم الدين الاسلامي والأدب، والمعروف ان الخطاط كان ينهي كتابة المخطوط تاركا الفراغ الذي يطلب منه في بعض الصفحات لترسم فيه الأشكال الهندسية والنباتية المذهبة او تنقش فيه صور ذات صلة بنصوص معينة في المخطوط.[2]

---

[1] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 54.

[2] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 56

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

مواضيع المخطوطات العربية:

لم يكن للعرب قبل الاسلام علم مدون أو فن ولا أدب مكتوب، وكانت الروايات والأشعار والأخبار والأنساب تتداول بينهم شفاهة خلال عمليات التجارة، وهكذا كان الانسان في الجاهلية يحيا ويموت دون ان يترك اثرا لأفعاله وآماله، ولما جاء الاسلام ونزول الوحي كان الصحابة يحفظون القرآن في أذهانهم وبعد موقعة اليمامة خاف أبو بكر الصديق على القرآن من الضياع، فاستشار الصحابة في جمعه في طرس [1] واحد، وشكلت لجنة لهذا الغرض وكتب القرآن على رق، فكان المصحف هو اول كتاب عربي يدون كاملا [2].

بعد تدوين القرآن الكريم في المصاحف وبعد انتشار المسلمين في الأقطار التي فتحوها واتساع الآفاق العلمية والثقافية امامهم، وتزايد الخبرات والتجارب بدءوا في تدوين العلوم الأخرى وإن كان تاريخ البداية هنا غير معروف، اتسعت بذلك دائرة التدوين والتأليف والترجمة لكل ما يتعلق بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وامتدت ايضا إلى القصص والأخبار والتاريخ.واللغة والأدب والعلوم البحتة والعلوم التطبيقية، إلى ان بلغت ذروتها في خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهكذا بدا التراث العربي المخطوط يزداد انتشارا وازدهارا في وقت الذي كانت أوروبا تعيش في ظلمات عصورها الوسطى

انتشر المخطوط انتشارا واسعا بعد اختراع الورق وأثر ذلك على مضمونه وسبل وصوله من المؤلفه إلى قارئه حيث ظهر طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة وصناعة الكتب أطلق عليهم اسم الوراقين.[3]

فهرسة وتصنيف المخطوطات العربية:

إن سر بقاء المخطوطات العربية للأجيال المقبلة والمحافظة عليها ليس في صيانتها وحمايتها من التلف فقط بل بالتعريف بها والإشارة إلى مكان تواجدها في المكتبات من خلال تصنيفها وفهرستها، وإن ما يميز المخطوطات العربية عن غيرها انها احتفظت بكل خصائصها ومقوماتها واستعصت على التحريف والتبديل وجعلت من المخطوط العربي الأكبر عمرا والأكثر عددا، وتعد الفهرسة إحدى اهم الوسائل التي تساعد على حفظ المخطوطات إذ أن الهدف منها هو جعل اوعية المعلومات في مكان يحتويها لتسهيل عملية البحث عنها والاستفادة منها، لهذا اهتم المتخصصون في هذا المجال بتوفير بعض الوسائل المتمثلة في الفهرسة والتصنيف والتي من خلالها يتم ضبط العناوين وإعطاء البيانات الواصفة لها.[4]

إن فهرسة المخطوط ليس كغيرها من فهرسة كتب أخرى نظرا لما تتطلبه من مهام وأتعاب لمفهرسها، وتعد عملية فهرسة المخطوط من العمليات الشاقة إذ لا يوجد تقنين معين بل كل مكتبة تحتوي على مجموعة

---

[1] الطرس في اللغة يعني الصحيفة التي تمحى وتكتب

[2] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 18.

[3] السيد السيد النشار، المرجع السابق، 19.

[4] حسين جهاد الحسابي، المرجع السابق، ص 122.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

من المخطوطات تجري فهرستها بطريقتها الخاصة [1]، وتقع على عاتق مفهرس المخطوط مسؤولية كبرى ذلك ان لكل مخطوطة قيمتها وخصائصها التي تميزها عن غيرها من الكتاب الواحد كنوع الورق وحجمه وعدده ونوع الخط والمداد واسم الناسخ وتاريخ النسخ وما قد يضاف إلى ذلك أن المخطوطات غالبا ما تكون في مكتبات بعيدة عن الباحث ليس من السهل عليه أن يبلغها ليفحصها بنفسه، ومن ثم لابد أن يقدم له الفهرس الذي بين يديه بيانات تفصيلية تساعده في التعرف على ما يحتاجه بدقة.[2] ويجب ان تتوفر مجموعة من المواصفات في مفهرس المخطوطات من بينها، أن يكون على ثقافة واسعة ومعرفة بعدة علوم مساعدة، مثل علم الخطوط، وعلوم البيبليوغرافيا وغيرها، لأنها تركز على وصف المخطوط وصفا علميا دقيقا من الناحيتين الخارجية (المادية)، والداخلية (الفكرية) [3]

للتصنيف أهمية كبيرة على غرار الفهرسة متمثلة في حصر الإنتاج الفكري المخطوط بموضوعاته المختلفة وجمعها مع بعضها البعض، ويعد تصنيف المخطوطات اصطلاحا ضم المخطوطات المتعلقة بموضوع معين من موضوعات العلوم مع بعضها البعض وجعل لكل واحدة منها خانة معينة، فتكون مثلا كتب الفقه على جهة وعلوم القرآن وكتب الطب..إلخ، ولابد ان يكون للمصنف ثقافة عامة ودراية واسعة بالتراث العربي والإسلامي، وقد اختلف طرق التصنيف في الماضي والحاضر، وقد اشتهر تصنيف المخطوطات في المكتبات على الشكل التالي:

القرآن الكريم وعلومه، الحديث الشريف وعلومه، اللغة العربية آدابها وعلومها، العقائد وأصول الدين، الكيمياء والعلوم الطبيعية، الفلك وعلومه، الحساب (الرياضيات)، التاريخ السيرة والجغرافيا، التراجم، الطب وعلومه، الفلسفة وعلومها، العلوم الغربية، الفقه الاسلامي، أصول الفقه، الأخلاق والتصوف.[4]

حماية وصيانة المخطوطات العربية:

إن التطرق لدراسة المخطوطات العربية ومكوناتها ونشأتها وتطورها يجرنا إلى موضوع مهم يتعلق بحماية هذه المخطوطات وصيانتها كي تحافظ على شكلها الاصلي وان هذا العنصر يتطلب دراسة منفصلة بحد ذاتها، والملاحظ أن أي دراسة تتناول موضوع المخطوطات لا تهمل هذا العنصر نظرا لكونه مكمل في دراسة المخطوط وفي هذا المجال عقدت ملتقيات ودراسات على أعلى مستوى واستعملت الوسائل التقليدية والتكنولوجية لعملية حفظ المخطوط العربي وصيانته، فنجد ان مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي عقدت

---

[1] عزت ياسين أبو هية، **المخطوطات العربية فهارسها فهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989. ص 36.

[2] عبد الستار الحلوجي، **المخطوطات والتراث العربي**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2002، ص 29.

[3] كرم أمين أبو كرم وحاتم السيد، **عاشق المخطوطات – قراءة في أعمال يوسف زيدان التراثية** –، القاهرة، دار أمين للنشر والتوزيع، 2001، ص 39.

[4] حسين جهاد الحسابي، المرجع السابق، ص 123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

مؤتمرها الثالث في لندن تحت عنوان " صيانة وحفظ المخطوطات الاسلامية "، كما تناوله مصطفى مصطفى السيد يوسف وهو حاصل على ماجستير في صيانة المخطوطات في كتابه "صيانة المخطوطات علما وعملا ".

لمعرفة طرق حماية وصيانة المخطوطات لابد من تحديد مكوناته إذ اختلفت حسب نوع وطبيعة المادة المستعملة في صناعة المخطوط ويمكن إجمالها في ما يلي:

- مواد كربوهدراتية ممثلة في الأوراق والبردي واللواصق النشوية.
- مواد بروتينية ممثلة في الرق والجلد واللواصق الغروية.
- مواد ممثلة في الأحبار التي يكتب بها (صبغات كميائية، معدنية أو عضوية) [1]

وتتأثر كل هذه المكونات بمجموعة من العوامل التي تؤدي إلى تغيير شكل المخطوط وتقادمه ومن بينها العوامل الجوية مثل الرطوبة النسبية والحرارة والتلوث، والأكسدة الضوئية، والتعرض للحشرات والميكروبات وتغير الضغط الجوي والاهتزاز.[2] بالإضافة إلى تدخل الإنسان السلبي وتأثيره على شكل المخطوط مع حساسية هذه المخطوطات لتقادمها.

وتختلف طرق ترميم وإصلاح المخطوط حسب حالته الموجودة عليه فهناك مخطوطات تظهر عليها أعراض مثل:

- جفاف الورق وتقصف أحرفها وانتشار الثقوب والقطوع على هوامش ونصوص المخطوط.
- انتشار البقع اللونية الكيميائية والبيولوجية على الصفحات المكتوبة وجلود الأغلفة.
- التصاق الصفحات وتآكل الأوراق تحت أحرف الكتابة، وبهتان لون الاحبار ومواد الكتابة..إلخ.[3]

كما يمكن ان نقوم بحفظ المخطوطات من خلال توفير الظروف الملائمة للحفظ لكي لا تتسرب العوامل السابقة إلى المخطوط الغير مصاب أو ما يسمى بالوقاية عن طريق النظافة المستمرة لمكان الحفظ والتهوية، والتحكم في عناصر البيئة المحيطة من حرارة ورطوبة عن طريق وضع أجهزة ضبطها [4].

تحقيق المخطوطات:

لا شك أن حماية وصيانة المخطوطات لا ترتبط فقط بالجانب المادي للمخطوط وحفظه من التلف لكنها ترتبط بما يمكن أن يلحق المخطوط من أدى في موضوعه ومحتواه بقصد من اجل تحريف معناه وبغير قصد نظرا لصعوبة قراءته وعدم فهم مكوناته، ويدور معنى كلمة تحقيق لغويا حول إحكام الشيء وصحته، والتيقن

---

[1] مصطفى مصطفى السيد يوسف، **صيانة المخطوطات علما وعملا**، القاهرة، عالم الكتب، 2002، ص 35.

[2] صبري اسكندر، **حفظ وصيانة الكتب والورق والمخطوطات والبردي والرق الاسلامية**، سلسلة مؤتمرات الفرقان رقم 3، أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن 18-19 نوفمبر 1995، تحرير ابراهيم شوح، 1995، ص 127.

[3] مصطفى مصطفى السيد يوسف، المرجع السابق، ص 42.

[4] مصطفى مصطفى السيد يوسف، المرجع السابق، ص 85.

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

والتثبت، ولا شك أن هذه المعاني لها ارتباط وثيق بالمدلول الاصطلاحي، ويعرف عبد السلام هارون علم التحقيق بأنه علم يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشروط معينة، فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه واسم مؤلفه وضبط نصه أو متنه وكان أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه.[1]

وتعد كلمة تحقيق هي أكثر المصطلحات شيوعا في وقتنا المعاصر، وقد استعمل بعض الدارسين ألفاظا أخرى مثل " قرأه وشرحه "، " تحقيق وشرح"، " حققه وضبط غريبه وعلق حواشيه"..، وقد اجمع أغلب الدارسين أن واجب المحقق أن يجمع الأصول الخطية، والمفاضلة بينها لاختيار أفضلها (بخط المؤلف أو قرأت عليه، أو نسخت في عهده أو عهد قريب منه)، والمقابلة بين النسخ وضبط النصوص والتعليقات والهوامش والفهارس التحليلية والكشافات كما يقوم بكتابة مقدمة التحقيق التي يذكر فيها قيمة المخطوط وأهميته المعرفية والعلمية وأسباب تحقيقه ونشره، وتناول مؤلف الكتاب، والمخطوطات التي اعتمد عليها في التحقيق والمنهج المتبع في التحقيق.[2]

خاتمة:

يعد الكتابة في موضوع المخطوطات والتراث العربي عامة موضوعا يحتاج إلى الكثير من البحث والجهد والوقت نظرا لكثرة وغزارة الإنتاج العربي عبر العصور السابقة خاصة وأن الحضارة العربية والإسلامية أكبر مساهم في نقل المعرفة والأعمال العلمية والمحافظة عليها، ويبرز ذلك من خلال المخطوطات المتوفرة في مكتبات العالم، وقد عمل الباحثين العرب على التعريف بالمخطوط العربي من خلال وضع فهارس وبيبليوغرافيات تعرف بالمخطوطات العربية المتواجدة في هذه المناطق، وظهرت بذلك فهارس للمخطوطات المتواجدة في مختلف مكتبات العالم ونظمت خرجات علمية وبحثية من اجل اكتشاف التراث المنتشر هنا وهناك وإعداد فهارس خاصة بها والتعريف بها ووصفها وصفا يسهل على الباحث معرفة مضامينها، والجدير بالذكر أن تطور تكنولوجيا المعلومات يمكن أن يساهم في حفظ تراثنا العربي المخطوط عن طريق إعادة تصويره وحفظه بطريقة متطورة عن طريق المصغرات الفيلمية والنسخ الالكتروني والتصوير الفوتوغرافي، كما يمكن نقله والتعريف به باستغلال الفهارس الإلكترونية والمحسوبة أو بنشرها وإتاحتها على شبكة المعلومات والإنترنت.

إن تطور المخطوطات العربية جاء كنتيجة لتطور وسائل الكتابة، وتطور العلوم المختلفة كما أن القرآن الكريم ساهم في تدوين وكتابة المخطوطات العربية في مختلف العلوم حيث صاحب تدوين القرآن وانتشاره تدوين علوم أخرى ساهمت في تطوير وتنوير الانسانية، ويبقى العالم مدين للتراث العربي في نقله للمعرفة الإنسانية، كما أن حفظ هذا التراث العربي مسؤولية تقع على عاتق كل منتمي لتاريخ هذه الأمة وتراثها

---

[1] كرم أمين أبو كرم وحاتم السيد، المرجع السابق، ص 53.

[2] محمد التونجي، **المناهج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات**، القاهرة، عالم الكتب، (د ت)، ص 184.

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

خاصة مع ظهور تحديات جديدة للتراث العربي المخطوط منها الحروب المقصودة على تاريخ هذه الأمة وحضارتها من أجل طمس ومحو تاريخها وهويتها.

قائمة المراجع:

1- بطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، ج 10، 1970.

2- أحمد محمد الشامي وسيد حسب الله، المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، الخليزي عربي، الرياض، دار المريخ، 1988.

3- حسين جهاد الحساني، المخطوط العربي تاريخه صنعته تطوره، مجلة ينابيع تصدر عن مؤسسة الحكمة للثقافة الاسلامية في النجف الأشرف، العراق، العدد 23، 2008.

4- سماء زكي المحاسن، دراسات في المخطوطات العربية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1999.

5- السيد السيد النشار، فن المخطوطات العربية، الاسكندرية، دار الثقافة العلمية، 1997.

6- عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2002.

7- مصطفى مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوطات علما وعملا، القاهرة، عالم الكتب، 2002.

8- عزت ياسين أبو هيبة، المخطوطات العربية فهارسها فهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.

9- محمد التونجي، المناهج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، القاهرة، عالم الكتب، (د ت).

10- كرم أمين أبو كرم وحاتم السيد، غاشق المخطوطات (قراءة في أعمال يوسف زيدان التراثية)، القاهرة، دار أمين للنشر والتوزيع، 2001.

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner